

فَإِنَّمَا تَعْلَمُ لَا يَرِيدُ بِنَهِيَّنَا عَنْ ذَلِكَ إِلَّا يَبْدُونَا عَنْ مَوْقِفِ الْخُصُومَةِ فِي الْجَدْلِ، لِنَسْلُكَ بِهِ الطَّرِيقَ الَّذِي يَرَادُ مِنْهُ الْوُصُولُ إِلَى الْحَقِّ، وَيَقْصُدُ مِنْهُ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَلَا يَرِادُ مِنْهُ إِلَّا إِقْنَاعُ وَالْإِرْشَادُ، وَإِلَّا أَخْذُ النَّاسِ فِي الْجَدَالِ بِالْهَدْوَةِ وَالرَّفْقِ، حَتَّى لا يَنْقُلِبَ إِلَى خُصُومَةِ وَتَعْصِبَ، يَعْمَلُ فِيهِمَا الْحَقُّ عَلَى النَّاسِ، وَيَشْتَدُّ بِهِمَا الْعَنَادُ وَاللَّجَاجُ، وَهَذَا لَا يَخْرُجُ عَنْ كُونِهِ تَعْلِيمًا لَنَا، وَلَا يَقْتَضِي سُبُّ وَقَوْعَدَ شَيْءٍ مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ النَّبِيِّ أَوْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَلَهُذَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ النَّهِيِّ عَنْ ذَلِكَ السُّبُّ "كَذَلِكَ زَرِينَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمِلُهُمْ، فَلَا يَصْحُ أَنْ نَصَادِمَ شَعُورَهُمْ بِشَتْمِ مَا زَرِينَ لَهُمْ، وَإِنَّمَا يَجُبُ أَنْ نَقْتَصِرَ عَلَى بِيَانِ الْحَقِيقَةِ فِي أَمْرِهِ، وَأَنْ نَتَرْفَقَ فِي تَفْهِيمِهِمْ قَبْحَ مَا زَرِينَ لَهُمْ، حَتَّى يَعْلَمُوا حَقِيقَةَ حَالِهِمْ، وَيَصْلُوُا إِلَى الصَّوَابِ فِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْرُجَ الْجَدَالُ مَعَهُمْ عَنِ الْأَدْبَارِ الْلائِقِ بِهِ، وَعَنِ الْحَدُودِ الَّتِي تَجْعَلُهُمْ مُنَاسِبًاً لِشَرْفِ الدُّعَوَةِ، مَلَائِمًاً لِنَبْلِ مَا تَدْعُوا إِلَيْهِ. وَلَهُذَا أَيْضًاً يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ "ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيَنْبَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" تَأكِيدًاً لِذَلِكَ النَّهِيِّ عَنْ سُبِّ آلِهَتِهِمْ، وَلِيَدِلُّهُمْ عَلَى أَنَّ أَمْرَهُمْ فِي ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا إِلَيْنَا، فَهُوَ الَّذِي يَعَاقِبُهُمْ عَلَى شَرِكِهِمْ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا هَذَا الْعَقَابُ حَتَّى نَعَاقِبُهُمْ بِشَتْمِ أَوْ نَحْوِهِ، وَإِنَّمَا وَظَيَافُنَا الإِرْشَادُ وَالْدُّعَوَةُ بِالْمِنْهَى الْأَحْسَنِ.